س- عارف بيك بعد هالتمهيد اللي قدمته عن الأحداث التي قامت سنة ١٨٦٠ وما قبل والنظام الإقطاعي الذي وصفته، ممكن تحدثنا كيف تم الانتقال من هالمرحلة إلى مرحلة متصرفية جبل لبنان والأحداث اللي بتعرفها تمت في هيديك الفترة.

ج- في حديثنا السابق، إن الحوادث المشئومة التي وقعت في لبنان كان لا بد من وقوعها، وقلنا فيما أذكر، أنها لبست ثوبا طائفيا وإن لم تكن من حيث الأساس حوادث طائفية. وأعتقد أن من ما قلناه أن ما وقع في الشوف، الذي كان يعرف بجبل الدروز بين الموارنة والدروز، وقع من قبل في كسروان بين عامة الموارنة ومشيخة الموارنة. فانتهى الأمر بتنظيم الوضع في لبنان بشكل كان لا يمكن أن يكون أفضل مما كان. انتقل الحكم تدريجيا من الأيدي التي كانت تملكه، وانتصف وجعل الحكم مناصفة بين أهل البلاد. كان من جملة الأسباب عوامل داخلية وعوامل خارجية، أما العوامل الداخلية، فكما قلنا كان يصعب على أكثرية مارونية أن تذعن لحكم درزي، والذي وضع بذور هذه الفكرة هو الحكم المصري، سوى بين الناس، ولم يفرق بين طائفة وطائفة، فعمهم بالمساواة وعمهم بالظلم، هذا فيما يتعلق يتنبه أبناء البلاد أو بنوع أخص إخواننا الموارنة إلى حقوقهم. وكان مما قالوه وأظن ذكرته، كنا قلال فكثرنا، وكنا ضعاف فقوينا، وكنا فقراء فاغتنينا، فلا يمكن أن نرضى بمثل ما كان من قبل. وإني آسف وقع أمس في يدي رسالة وضعها القانوني المشهور سليم رستم باز، فيها ذكر هذه الحوادث وذكر المساواة التي بدأ إخواننا المارونيون يطلبونها. وبنو باز بصفتهم أصحاب شأن في سياسة البلاد، وأبناء دير القمر يمكن أن يستريح الإنسان إلى مدى القرون. فبعد أن انتهت الحوادث سنة الخمس وأربعين أقيم قائمقاميتان، قائمقامية الدروز وقائمقامية النصارى وولي الحكم رجل اسمه عمر باشا النمساوي، فكان شر من الحكم الشهابي. أما بعد سنة ستين، فأصبح لابد من وضع أنظمة صحيحة يمكن أن يسير عليها الجبل سيرا يطمئن أبناؤه إليه، ووضع كما قلنا النظام الموافق بالنسبة إلى الزمن الماضي. كانت إنكلترة تريد كانت فرنسا تريد أن يكون الحاكم من بني شهاب، وبالطبع كانت إنكلترة تريد غير ذلك، ويعاضدها العثمانيون لأنه من مصلحتهم أن لا يبقى هذا الامتياز الذي يزيد عن باقي الإقطاعات في سائر الدولة العثمانية. كان الإقطاع في كل مكان، ولكنه في لبنان كان متمركزا يجعل يجعل هذه الإمارة شبه مستقلة. أبدل عهد القائمقامية، وجعلت وجعل لبنان متصرفية، يشترط في المتصرف أن يكون مسيحيا ولكن من غير أبناء البلاد ومن غير طائفة من الطوائف الموجودة في لبنان. لم يكن جائزا أن يكون مارونيا ولا أرثوذكسيا ولا كاثوليكيا، لذلك كان لاتينيا واللاتين كما أذكر في إحصاء لبنان كان خمس ست أنفس. جاء أول متصرف داود باشا. أراد يجاري البلاد في لباسه، لبس السراويلات إذا كان نظرتم صورته، ولبس الكوفية والعقال وحاول أن يتعلم العربية، وأظن أشرت لكم إلى شيء في الجلسة الماضية من الذي جعله يمتنع عن التكلم باللغة العربية. ساس البلاد الرجل سياسة حكيمة ورغما عن الدماء المسفوكة والحقوق الضائعة استطاع أن يوفق ويسير بالأمور سيرا معقولا ولكن غضب عليه الإكليروس الماروني غضبا ... من جملة العوامل التي أثارت القضايا السابقة في لبنان هم السياسي الإكليريكي. كان بدأ لبنان يتصل نوعا في الخارج، وكان الإكليروس الماروني بدأ يتعلق في مدرسة رومية المنشاة لهم، ويرى ما كان عليه الإكليروس المنشق، كان الكاردينال أحيانا يكون وزيرا وأحيانا يكون وصي على العرش، فحدثتهم أنفسهم أن يكون لهم ما كان لغيرهم، وفي لبنان ليس عندنا رئاسات دينية كان في ذلك الحين. قلنا بما أن الحكم درزي، فالدروز ما عندهم كما قال أخيرا إذا ذكرتم كمال جنبلاط، بأنه نحن لا رؤساء دين عنا عنا رجال دين وهيدا بالفعل ما عنا رؤساء فصار خلاف بين الإكليروس وبين داود باشا، ولكن الخلاف كان محدودا. حدثت داود باشا نفسه أن يوسع حدود لبنان، لماذا لا يكون البقاع داخلا في متصرفية لبنان، هو لم يكن لا البقاع الغربي ولا البقاع الشرقي كان في متصرفية لبنان. فداود باشا* أدرك أن هناك نيات في توسيع مدى لبنان وهذا ضد سياسة الدولة، الدولة تريد بالعكس الانتقاص من الحدود لا زيادتها، فنصب له فخا أوقعه فيه. طلب داود باشا أن يضاف إلى لبنان شيء من البقاع لأن موارده ضعيفة لا تقوم بحاجة أبنائه، فاخذ داود باشا* يرجوه ويقول له: لا يا دولة المتصرف يصعب علينا أن نجيبك إلى طلبك، كما يصعب علينا أن نرفض طلبك لأنك أول وزير مسيحي ولا يمكن الدولة أن تعطي هذا اللقب الوزارة بكثرة للمسيحيين، فتشبث داود باشا بأنه: لا، لا يمكن أن أرض إلا بأن يوسع حدود لبنان وإلا أستقيل. فرجاه، أرجوك تكرارا أن لا تفعل هذا، ولكن قدم الإستدعاء وكان فؤاد باشا مشهور جدا في الإستدعاء، أخذه باشا في اسطنبول وقالوا له مع السلامة لأنه كان يصعب على الدولة أن تعلله.